Al-Qalam القلم
p-ISSN: 2071-8683, e-ISSN: 2707-0077
Volume:27, Issue:1, 2022, pp. 384-391

فلسطين في شعر ظفر علی خان

Palestine in the poetry of Zafar Ali Khan

Dr. Al-Hafiz Zahid Ali
Assistant Professor, Government College, Rawi Street, Shahra Lahore

Dr. Hafez Abdul Majid
Government engineering university Lahore

KEYWORDS

Palestine Issue, Arabic People, Urdu Poet Zafar Ali Khan, French, Russian, Persian,

Date of Publication: 26-06-2022

ABSTRACT

The Palestine Issue is very important Issue in all over the world and it is not important only For Arabic People but for all Muslims. The Urdu Poet Zafar Ali Khan has participated Palestine Issue in his Poetry. (History of Zafar Ali Khan). His poetry has been translated into many languages including Arabic, French, Russian, Persian, Hindi, Japanese, Hungarian and English.

التمهيد

إن الشاعر الباكستاني ظفر علي خان من بلدة كرم آباد بالبنجاب، تلقى تعلميه في وزير آباد وباتياله، وحصل على البكالوريوس من جامعة عليكره الإسلامية سنة 1312هـ/1894م وعمل سكرتيراً لنواب محسن الملك، ثم عمل بالسلك الوظيفي في حيدر آباد الدكن، وهناك أصدر مجلته الشهرية "أفسانه" ومجلة أخرى شهرية باسم "دكن ريفيسو" وفي سنة 1327هـ/1909م عاد إلى البنجاب ليتولى تحرير صحيفة زميندار بعد وفاة والده.ارتبطت حياة ظفر علي خان بالشعر والسياة عبر الصحافة، واستخدم ظفر الشعر لتحقيق أهدافه في إصلاح أمور الأمة، وضحى بمشاعره وأحاسيسه الشخصية فجعل من نفسه صوتاً يعبر عن عواطف الأمة

ومشاعرها بعد أن اعتبر الحياة ميدان عمل عليه أن يقتحمه، وكانت أشعاره على مستوى قضيته.

نشرت أشعار ظفر علي خان في مجموعات فصدر له بهارستان، نكارستان، خيالستان، حبسيات، خمستان مجاز.... صور فيها بأشعاره الحياة الإجتماعية من حوله على امتداد ربع قرن، واتخذت أحاسيسه وتجاربه الشخصية شكلاً قومياً، والتضحية بذاته أوجدت لأشعاره أبعاداً واسعة.وظل ظفر يحارب في صف مسملي الهند بقلمه، وكان وفاؤه للإسلام فقط فكانت رؤيته للإسلام محكوماً مظلوماً أكبر مذلة وأكبر عار، ومن هنا كان صوت شعره الذي نادى بالعمل على رفعة الإسلام وإحياء مجد المسملين، ورغم أن معظم النقاد يرون أن موضوعاته الشعرية علتها الصبغة السياسية إلا أن أشعاره كانت تعبر عن الموضوعات الدينية، وظفر شاعر الموضوعات الدينية بلا تردد، وهذا هو السبب الذي جعل أشعاره في النعت مؤثرة للغاية، فهي مليئة بالصدق والعاطفة، والصدق والعاطفة هما أساس شخصية ظفر، وكانت قدرة ظفر الشعرية غير عادية فالشعر ينساب على لسانه كالنهر الجاري وكان يرتجل الشعر في أصعب بحوره وقوافيه (1).

لم يقبل ظفر علي خان أبداً السكوت على ما حاق المسملين من ضر، ولم يتصالح أبداً مع البريطانيين أو مع القوى غير المسلمة، ولم يكن ذلك نتيجة لكراهية أو بعض الكفار، بل نتيجة لإخلاصه لأهل أمته من المسلمين، والتعاطف معهم، وهذا ما جعله يوقف شعره كله للقضية الإسلامية بالهند.وجه ظفر نقده إلى الإنجليز لما كانوا عليه من انحطاط أخلاقي، ورأى أن الحضارة الغربية لا تعني سوى التفرقة العنصرية وانتشار هذه الحضارة لا يعني نشر سياسة العبودية فقط بل الدمار للعالم الإسلامي، ورأى ظفر أن حرب بريطانيا في الهند وحرب إيطاليا في شمال إفريقيا وإثارة بريطانيا للحرب في منطقة البلقان كل هذا ما هو إلا حلقات مختلفة الأشكال في سلسلة واحدة، ومن هنا حملت أشعاره تصوراً كاملاً لما كانت عليه الحروب الصليبة الجديدة ضد العالم الإسلامي، ولم ينس ظفر ما يدور داخل الهند (ضد المسلمين) من جانب مواطني الهند أنفسهم ممن تزعموا حركة شدهي وغيرها، والذين أرادوا للمسلمين أن يغيروا دينهم في ظل ستارة الوحدة الهندوكية الإسلامية، وشعر ظفر بالخطر المزدوج القادم من جانب الإنجليز من ناحية والهنادكة من ناحية أخرى، في وقت واحد، وجاءت أشعار ظفر علي خان محاولة للحفاظ على الشخصية الإسلامية داخل الهند المضطربة، وأرخ ظفر من خلال أشعاره لصانعي التاريخ في شبه القارة وفي العالم الإسلامي فنرى الأسماء التالية تتردد في أشعاره: جورج الخامس، إدوارد كريه، بركن هيد، مانيغو، جون سايمون، لائيد جورج، تشرشل، الجنرال كاناوا، أنور باشا، مصطفى كمال باشا، أمان الله خان، محمد علي، برمانند،

شرد هانند، جندريال وغيرهم ممن أثروا على تاريخ المسلمين في الهند أو البلاد الإسلامية.

ولم تكن أشعاره جافة بل حملت أشعاره الأردية صوراً للطبيعة ترد لأول مرة في الشعر الأردي، ونلمح هذا في أشعاره بعنوان وادي جهلم، سير كهسار، نويد بهار.كما أن أشعاره بعنوان: "دمعتان على قبر السلطان تيبو الشهيد" مؤثرة ومليئة بالمشاعر، أما الميدان الذي تفوق فيه ظفر فكان شعر الإصلاح والشعر السياسي الذي طبعه بطابع السخرية والتهكم، وهذا الجانب من شعره يقدم صورة معكوسة للأشخاص وللأحداث وللوقائع، كما يسمخ الأشياء ويجعل لها صوراً قبيحة، وقد استخدم ظفر هذا الأسلوب من أجل هدف محدد، وهو أن يزيل سحر الشخصيات أو الأشياء عن القلوب وهكذا كان لهذا الشعر هدفه في الحفاظ على المسلمين من التردي في مصيدة الحضارات البراقة الزائقة (2).

لم يتعاطف ظفر علي خان مع التصوف والمتصوفة فلم يكن أبداً مع فكرة محو وإفناء شخصية المسلمين بأي شكل من الأشكال، فهو في أشعاره يعبر عن الشخصية المسلمة القوية وهو في أشعار بعنوان: "رب كعبه سيـ ايك عاجزانه التجا" أي تضرع عاجز إلى رب الكعبة، "شب معراج" ليلة المعراج، "شيوه مسلم" طريق المسلم، "عبرت" وغيرها من أشعار تلقى الضوء على طبيعته الشعرية التي تمثل جانباً خاصاً وتتصل اتصالاً وثيقاً بالعناوين الدينية، وهذا الجانب هو في الحقيقة أساس شعره وأساس شخصيته الشعرية، ومن خلاله ندرك حالة شبه القارة الإسلامية وحالة العالم الإسلامي، وتتضمن أشعاره (3) التي وضع لها عناوين إسلامية موضوعات تناولت المبادئ الإسلامية، والنعت والمديح النبوي، وهو في أشعاره الإسلامية وفي لغته بصفة خاصة يعبر عن صدق الإسلام وأحقيته، ويدلل على ذلك بطريقة واضحة وقد سادت أشعاره التي أنشدها في حب الرسول مشاعر قوية تحدث فيها عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- خاتم النبيين وأفضل العالمين وتحدث فيها عن فضل الإسلام على الإنسانية، وذلك بأسلوب رائع وبعاطفة نابعة من قلبه، فالإسلام عند ظفر علي خان هو دين العالمين وهو الدين الحق للدنيا كلها والمضي على طريقه هو سبيل نجاة المسلمين (4).

ظفر علي خان والعالم الإسلامي:

عرف ظفر علي خان بغيرته على الإسلام وتمسكه بشعائر الدين واتباعه سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وحدث أن قام وأذن لصلاة العصر أثناء انتظار حشد كبير من الناس قدوم الملك جورج الخامس في دهلي 1328هـ/1911م، وكان ذلك في جفل تتويج الملك المذكور، فقام بعض الحضور واشتركوا معه في أداء الصلاة (5)، ومن المعروف أنه استقال من حزب المؤتمر الوطني عام 1449هـ/1931م لأن الحزب لم يرفع جلسته لأداء الصلاة (6).

نهض ظفر علي خان مع زملائه من أمثال أبي الكلام آزاد ومحمد علي وشوكت علي يدافع عن طرابلس (ليبيا) حين شنت ايطاليا عدوانها عليها، كما ثارت ثائرته بعد اندلاع حرب البلقان ضد الأتراك العثمانيين، وسافر ظفر علي خان إلى استانبول، وقابل السلطان محمد رشاد الخامس، وأنشده قصيدة وقدم له ما جمعه من تبرعات من مسلمي الهند، ورغم أنه سجن عدة مرات إلا أنه لم يتخل أبداً عن مبادئه في سبيل الدعوة إلى نصرة المسلمين في كافة أنحاء الأرض سواء في موطنه الهند أو في غيره من البلدان الإسلامية، وقد ملك حبه للبلاد العربية فؤاده حتى قال له البعض ساخراً:"مولانا آب تو عربستان كيـ رهنـ واليـ معلوم هوتـ هين"(مولانا يبدو أنك من أهل الجزيرة العربية)

فأجاب ظفر علي خان:"إن السجود لرب العرب يمكن أن يكون في الهند أيضا". ثم أنشد ما معناه: (7)

"إنكم تعلمون في أي دنيا أعيش إن سمائي هي بلاد العرب وأرضي هي الهند".

ودافع دفاعاً شديداً عن الإسلام وإقامة شعائر الإسلام ضد العلمانيين من مسلمي الهند وقال:"في قاعة حزب المؤتمرة يتردد اليوم نداء....بأنه لا يكون وطنياً إلا من يكره الصلاة".

لقد يكره ظفر علي خان قيام باكستان كوطن للمسلمين، وحارب القاديانية منذ البداية وطالب الحكومة الإنجليزية إصدار قرار باعتبارها أقلية غير مسلمة، وسجن من جراء ذلك وظل يعيش حياته كلها في سبيل رفعة كلمة الحق وإعلاء شأن الإسلام والمسلمين.

ظفرعلي خان والمغفور له الملك عبدالعزيز:

تعود صلة ظفر علي خان بالملك عبدالعزيز إلى تلك الفترة التي دخل فيها الملك عبدالعزيز مكة المكرمة عام 1924/1343م وكان موقفه من أحداث توحيد الجزيرة العربية معروفاً، وظل على موقفه المؤيد للملك عبدالعزيز حتى بعد أن تغير موقف جمعية الخلافة في الهند (8).عمد ظفر علي خان إلى إيضاح الصورة الحقيقة للموقف في الجزيرة العربية حتى يزيل الشكوك والشبهات التي سيطرت على مسلمي الهند آنذاك نتيجة لشائعات روجها خصوم الملك عبدالعزيز في الهند (9) وهكذا نشر ترجمة للبلاغ العام الذي أصدره الملك عبدالعزيز للعالم الإسلامي، وجاء في إحدى فقراته: "إنني أؤكد لكم أن المدينة المنورة لا تزال حرماً آمناً لا يصح أن يحدث فيه حدث من قتل أو سلب أو نهب وصوناً لشرفها لهذا اكتفيت بحصارها على ما في ذلك طول الوقت وخسائر مالية... وإنني مشدد الأوامر على الجنود ألا يهاجموا حرم المدينة بأي صورة ولا يدخلوها حتى يستسلم العدو" (10).

ومن الجدير بالذكر أن أبا الكلام آزاد قد أيد خطوات ظفر علي خان واستحسن ما قام به في رسالة بعث بها إليه: وأنشد ظفر علي خان قصيدته سخر فيها من أعمال بعض المغرضين من طوائف أهل البدعة وغيرهم.

يقول عبدالملك عبدالعزيز:

"إن النجدى قرش أحياء يثرب ببساط التوحيد
وها أنتم تضحكون الأجانب عليكم وتبكون أهلكم
فما بالكم وإلى متى...
إلى متى أيها المسلمون في ظل الأحقاد ترتدون
ما بالكم....؟.

وبعد دخول جند الملك عبدالعزيز المدينة نشر ظفر علي خان قصيدة بعنوان "تطهير يثرب" جاء فيها (11).

اليوم دخل "المدينة" ابن سعود اليوم حلت رحمة ربنا الودود
ورفرفت راية توحيد العرب في وجه كل حسود
اليوم تطبيق الشريعة النبوية بكل حدود
مجاهدو نجد حراس الرسول في يثرب اليوم
ضرب الجنوب خيامهم جنود الله الذين جاءوا
وصلوا صلاتهم في المسجد النبوي
فما أطيب هذا الركوع وما أطيبه-اليوم- هذا السجود.

قضية فلسطين في شعر ظفر علي خان:

إن الشاعر ظفر على خان يتناول أصل القضية الفلسطينية ويعود بها إلى فتنة انفصال العرب عن الدولة العثمانية ووقوعهم ضحية لخداع ومكر المستعمرين موجهاً اللوم إلى الحسين بن عليّ الهاشمي فيقول:

کل تک عرب آزاد تھے لیکن ہیں غلام آج راعی کو رعایا ترے ہاتھوں نے بنایا
ہیں کعبہ کی دہلیز پہ جس خون کے چھینٹے خود صحن حرم میں ترے خنجر نے بھایا
شام اور عراق اور فلسطین کے اندر جو فتنہ ہے برپا اسے تو نے ہی جگایا
پیوند عرب تیری ہی مقراض جفا نے دامان اناطولیہ سے قطع کرایا
اس پر ہے یہ خواہش بھی کہ مل جائے خلافت فیصل ہوں ترے ہاتھ سے امت کے قضایا(12).

المعنى :

كان العرب حتى الأمس أحراراً ، واليوم صيّرتهم عبيداً ، لقد حولت يداك الحكام إلى محكومين .قطرات الدماء على مداخل الكعبة أنت الذي أسلتها في صحنها .والفتن التي ثارت في الشام والعراق وفلسطين أنت الذي أيقظتها .لقد مزّق مقراضك جفوتك ثوب العرب ، وفصلهم عن أحضان الأناضول .وفوق هذا تأمل أن تنصب خليفة ، ويكون الفصل في قضايا الأمة في يديك .ويقول في منظومة له بعنوان " غازيان فلسطين : فاتحو فلسطين " كتبها بتاريخ 9 مايو 1937م مشيداً بأبطال المسلمين والعرب وفلسطين الذين يبذلون الغالي والرخص في سبيل الحرية والتحرير ، ومعرضاً بالمؤامرات الغربية للفتك بفلسطين وتخريب القدس ومحاباتهم لليهود والصهاينة على حساب الفلسطينيين والعرب :

کفن باندھے ہوئے صحرا سے نکلے — فلسطین کی شہادت پیشہ غازی
عزیمت ان کی نخ نخ میں ہے ترکی — حرارت ان کی رگ رگ میں ہے تازی
لگا رکھی ہے آزادی کی خاطر — انہوں نے ہر طرف سر دھر کی بازی
برستی گولیوں میں سر بسجدہ — کبھی دیکھے بھی ہیں ایسے غازی
ہے راہ حق میں مر مٹنے پر تیار — ہے نازاں ان پہ تہذیب حجازی
نہیں ہو سکتے اک غازی کے ہمسر — اگر ہوں لاکھ فخر الدین رازی
رسن سازاں مغرب سے یہ کہ دو — کہ گزری حد سے رسی کی درازی
کہاں تک قدس کی تخریب کا شوق — کہاں تک یہ پرانی خاکبازی
کہاں تک فکر اصلاح قبائل — کہاں تک یہ انوکھی حیلہ سازی
حمایت تابکِ صہیونیوں کی — کہاں تک یہ یہودیت نوازی(13)

المعنى:

إن الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم المصري قد ترجم هذه الأشعار كالتالي: أبطال فلسطين المغرمون بالشهادة خرجوا من الصحراء وعلى أكفهم أكفانهم .أتراك في قوة العزيمة وعرب في حرارة الدماء .وضعوا رؤوسهم وأرواحهم رهن الحرية والاستقلال .يخرون لله سجداً وأمطار الرصاص تنهمر ، أرأيت قبلاً مصلين مثلهم .هم المستعدون للموت في سبيل الحق ، وهم الذين يفخر بهم أهل الإسلام .آلاف من أمثال الرازي لا يعدلون واحداً من هؤلاء الأبطال .قل لصنّاع المشانق من أهل الغرب : لقد تعدى الحبل كل حد .إلى متى تودّون تخريب القدس ، إلى متى هذا التآمر العتيق .وإلى متى تحمون الصهاينة ، وإلى متى تحابون اليهود .

وفي منظومة له بعنوان " تقسيم فلسطين " كتبها بتاريخ 19 يوليو 1937م يقول ظفر علي خان كاشفاً الستار عن مؤامرة تقسيم فلسطين واصفاً إياها بأنها حرب صليبية جديدة ، وأنها لا بد أن تبوء بالفشل ، وداعياً المسلمين إلى تلبية نداء الأقصى لهم والاستغاثة بهم لتحريره:

لندن کی کمیشن کی سفارش سے پریشان — سب شیخ فلسطین ہیں سب شباب فلسطین
سامان ہیں نئی جنگ صلیبی کے نمودار — خنجر بکف اٹھنے کو ہیں اعراب فلسطین
زینت جسے دی سرخیٔ خون شہدا نے — اسلام کے قصہ میں وہ ہے باب فلسطین
کہتے ہیں جسے مل کر یہود اور نصاری — ہے تاک میں اس ناؤ کی گرداب فلسطین
وہ جنگ پلٹ دے گی جو کایا عربوں کی — لکھیں گے اسے غزوۂ احزاب فلسطین
ہیں آج کہاں مسجد اقصی کے محافظ — دیتے ہیں ندا منبر و محراب فلسطین(14)

المعنى :

أهل فلسطين شيوخاً وشباباً غير مطمئنين لتوصيات لجنة لندن .تبدو في الأفق نذر حرب صليبية جديدة ، وأهل فلسطين سيحملون السلاحا .ذلك الباب الذي تزينه الدماء من قصة الإسلام هو باب فلسطين .وتلك السفينة التي يقودها اليهود والنصارى تترصدها دوامة فلسطين .تلك الحرب التي ستغير حال العرب ، سنطلق عليها غزوة أحزاب فلسطين .فلسطين بمنبرها ومحرابها تنلديكم ، أين حماة المسجد الأقصى .

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

الهـوامش

1. قريشي، نسيم: **أردو أدب كي تاريخ**، دهلي، 1955م، ص: 50.
2. **تاريخ أدبيات مسلمانان باك وهند**، 96/10.
3. نفس المرجع، ص: 97.
4. شوهودري، عنايت الله: **ظفر علي خان اور ان كا عهد**، ص: 103.
5. نفس المرجع، ص: 222.
6. رضوان علي، سيد (الدكتور): **ظفر علي خان والملك عبدالعزيز**، ص: 7 من بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1046هـ/1985م.
7. شوهودري، عنايت الله: **ظفر علي خان اور ان كا عهد**، ص: 223.
8. رضوان علي، سيد (الدكتور): **ظفر علي خان والملك عبدالعزيز**، ص: 15.
9. نفس المرجع ، ص: 19-20.
10. قريشي، نسيم: **أردو أدب كي تاريخ**، ص: 194.

11. سمير عبدالحميد، (الدكتور): صفحات من تاريخ الملك عبدالعزيز في المصادر الأردية تحت الطبع.
12. ذو الفقار، غلام حسين (الدكتور): **مولانا ظفر علي خان : حيات ، خدمات و آثار**، لاهور: سنك ميل ببلي كيشنز، 1993م، ص: 199.
13. خان، ظفر علي: **كليات مولانا ظفر علي خان**، ترتيب زاهد علي خان، لاهور: 2007م ، ص 73-74.
14. نفس المرجع، ص: 37.

1. Qureshi, Naseem: Urdu literature for history, Dehli, 1955, p.: 50.
2. History of the literature of Muslims, Pak and Hind, 10/96.
3. The same reference, p.: 97.
4. Choudhry, Enayatullah: Zafar Ali Khan Or An Ka Ahed, p. 103.
5. Ibid., p.: 222.
6. Radwan Ali, Syed (Dr.): Zafar Ali Khan and King Abdulaziz, p.: 7 of the research papers of the International Conference on the History of King Abdulaziz, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, 1046 AH / 1985 AD.
7. Chaudhry, Enayatullah: Zafar Ali Khan Or An Ka Ahed, p.: 223.
8. Radwan Ali, Syed (Dr): Zafar Ali Khan and King Abdulaziz, p. 15.
9. Ibid., pp.: 19-20.
10. Qureshi, Naseem: Urdu literature for history, p.: 194.
11. Samir Abdel Hamid, (Dr.): Pages from the history of King Abdulaziz in Urdu sources in press.
12. Zulfiqar, Ghulam Hussain (Dr.): Maulana Zafar Ali Khan: Lives, Services and Effects, Lahore: Sink Mill Publications, 1993, p.: 199.
13. Khan, Zafar Ali: Maulana Zafar Ali Khan Colleges, arranged by Zahid Ali Khan, Lahore: 2007, pp. 73-74.
14. Ibid., p. 37.